الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

الله نور السموات والارض

الفصل الأول

مركزية الشمس ومركزية محمد الكريم

للاستاذ حسنى طه شكيبان

فكر الفلاسفة فى حقيقة الكون الذى نعيش فيه ، وحاولوا أن يضعوا لقضايا الفكر تفسيرا تطمئن له القلوب ، ودارت نظرياتهم حول الارض والسماء .. حول المادة والروح .. حول بداية الكون ونهايته .. حول الانسان والخلاق ... وكان نتيجة هذا التفكير – على مر العصور – رصيدا ضخما من التفسيرات والنظريات ، وكان أعمقها أثرا فى الفكر الحديث فلسفة اليونان ، وعلى الأخص فلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو ، واعتبر أخيرهم المعلم الاول والاكبر وأبا الفكر الاوربى .

وقد كان ، وما يزال هذا الرصيد الضخم ، من الفلسفة مجالا للبحث العلمى النظرى والعلمى الطبيعى المادى ، فمنه ما أيدته البحوث العلمية ومنه ما رفضته وأظهرت خطأه .

وكان من رأى أرسطو – المعلم الاول – أن الارض مركز للشمس التى تدور من حولها مع بقية النجوم ، وظل هذا الرأى يضرب أعماق الزمن من قبل الميلاد حتى القرن السابع عشر ، وجاء عالم فى الفلك اسمه – كبلر – ينقض هذه النظرية ولكن فى خفوت مع بعض تلاميذه وخاصة أصدقائه ، ذلك أنه لا يملك الجرأة على معارضة المعلم الاول علنا ، وهو فى نظر الكنيسة مقدس الفكر ، بل ان التوراة فى ظاهر نصوصها مع أرسطو ، وللعقل الكنسى اذ ذاك حجته – التى لا تعارض – ان عيسى (ابن الله) – كما تدين الكنيسة بذلك – ولابد لابن الله أن ينزل على مركز العالم اذا قدر له أن ينزل الى الناس ، فالارض لابد أنها مركز العالم .

وحمل فكرة – كبلر – عالم فلكى آخر درس جغرافية النجوم وتحركاتها فى السماء فوضع فى ذلك بحثا يقند به رأى أرسطو ويثبت فيه مركزية الشمس ودوران الارض حول الشمس ، ومعها سائر السيارات السبع – المعروفة اذ ذاك .

ولكنه أمسك عن الجهر به بعض الشىء ثم وفق الى طبع كتاب فى ذلك ، قال عنه صاحب المطبعة فى مقدمته انه رأى يعرضه هذا العالم للبحث والنظر ، وكم من رأى خاطىء للعلماء » ، وذلك لينجو من الاضطهاد الدينى الذى شاع فى القرن السابع والثامن عشر .. ذلكم العالم الفلكى هو

كوبرنيقوس . الذى ضم كتابه الى صدره كأعز شيء يخلفه للأجيال — وهو يستعد لتوديع الارض الى عالم الآخرة ...

وجاء — جاليليو — من بعدهما يدين بنفس الفكرة ويجهر بها فى قاعات الدرس ، ثم اخترع أول منظار مقرب — دخل الفلك به الى ميدان التجربة العلمية الصحيحة ، ولكنه لم يسلم من الاضطهاد فقدم للمحاكمة أمام مجلس من المحلفين من رجال الكنيسة — وحاول اقناع العقول التى توجه اليه أكبر اتهام اذ ذاك .. انه التجديف فى الكتاب المقدس ، وعقوبته الاعدام والحرق ومصادرة الاملاك . لقد أخذ قسيسا مرة ليطلعه على القمر بمنظاره من فوق برج بيزا بايطاليا وليقول له : « ما القمر الا كوكب مظلم كالارض ، وكلاهما مع كواكب أخرى تدور حول الشمس المركز » ، ولكنه وقد اطلع أخذ يتمتم : أعوذ بالله من هذا السحر المبين .. كما رفض غيره أن يمسك بالمنظار خوف الشياطين ..

وقد جرت محاكمته فى عنف أشفق على نفسه من عاقبتها فأقسم — مرغما — على أنه لا يؤمن بما كتب من زندقة ، وأن الارض ثابتة ومركز للشمس . والشمس تدور مع النجوم حولها ... ومع ذلك فقد سمعه بعض الناس يتمتم وهو خارج من القاعة : ومع ذلك فالارض تدور ...

وأخيرا جاء العلم ليغير من العقول التى تراكم عليها صدأ الحقد والجهل ..

جاء ليضع الحقيقة واضحة رائعة كما هى فى نفسها ...

جاء ليغير من مركز الارض الى مركزية الشمس بالنسبة لمجموعة من السيارات لها مئات الالوف من النظائر فى مجرة — سكة التبانه — وفى المجرات الاخرى ..

وقد حدث نظير ذلك فى علم الروح كما حدث فى علم المادة .

اجتمع صوفى كريم ينطق بنور السماء ، ورجل من المسلمين يتمسك بظواهر النصوص .

قال الصوفى : محمد نور الله المعلن لهذا الوجود .. ومحمد أول خلق الله وخاتم رسل الله . ومحمد رحمة الله للعالمين أجمعين ..

وأجاب الرجل : لا تصف الرسول بغير ما وصفه القرآن الكريم : فمحمد بشر : « **قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى** » سورة فصلت ، وليس هو أول الخلق — كما تزعم — فآدم أبو البشر جميعا : « **واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة** » « **اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ..** » فكان آدم :

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » ٠

وأما أن محمدا خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين فذلك منطق القرآن حقا ٠٠ وقال الصوفى : حقا يا أخى : ان آدم أبو البشر فى الكون الارضى لعالم المادة ولكن محمدا نبع النور الروحى لعالم الروح ، فمنه خلقت أرواح الانبياء وأرواح الملائكة والعالمين ٠٠ بما فيهم آدم أبو البشرية ٠٠ قبيل خلق الارض والسموات ٠٠ فذلك بدء روحى ، وهذا الذى تتحدث عنه بدء مادى ٠٠

ألم تسمع حديثه صلى الله عليه وسلم لجابر : أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ٠

والتفت الرجل فى انتفاضة عجيبة ـ ومعه الحجة الظاهرة ـ ذلك حديث ضعيف ، وذلك التفسير من الدخيل على الفكر الاسلامى من رجال الصوفية فكف أنت وأمثالك عن هذه التأويلات ٠٠

ولم يجد الصوفى دليلا من علم ، فذلك ما لا يدخل تجربة وبحث يستدل به عليه ٠٠ كما لم يجد دليلا من ظواهر النصوص ٠٠

ان دليله قلبه ٠٠ فهو نافذة السماء ، وهو موطن الايمان والنور اليقينى ومنه تتفجر ينابيع الحكمة اذا ما صفا ٠٠

وانفض المجلس ـ والحجة بيد الظاهرى ـ فآدم أبو البشر وأولهم جميعا خلقا فى الوجود ، واليه ترجع مركزية الانسانية ، ومحمد بشر خلق من بعد آدم بأجيال لا حصر لها ٠٠

وكما خرج جاليليو من قبل يتمتم : ومع ذلك فالارض تدور حـــول الشمس والشمس مركز هذه السيارات ٠٠ خرج الصوفى يتمتم : ومع ذلك فالحق الذى لا تدركه أنت بقلبك المظلم هو أن محمدا أول خلق الله نورا وخاتم رسل الله ظهورا واليه ترجع مركزية الكائنات كلها ٠٠

وكما جاء العلم ليرفع مركزية الوجود الارضى من الارض الى الشمس سراج المجموعة الشمسية يأتى العلم ـ اليوم ـ ظاهرا ورائعا ليعلن عـــلى العالمين :

ان محمدا أول خلق الله ، وخاتم رسل الله ، ونور الله المعلن ورحمة للعالمين ٠

واذا كان الصوفية الكرام يؤمنون بذلك لأنفسهم ٠٠

فان العلم يجعل من ذلك حقيقة معلنة للعالمين ٠٠

وفى بحثنا هذا ـ بتوفيق الله تعالى ـ نسجل الحقيقة كما هى فى العقل وكما هى فى الواقع الكونى :

محمد أول خلق الله ٠٠ محمد مركز الوجود ٠٠ محمد سراج الحياة ٠

وانها لمفارقة عجيبة حقا :

ان آدم قال الله فى شأنه : « **انى خالق بشرا من طين** ٠٠ » « **انى جاعل فى الارض خليفة** ٠٠٠ » فكان من الطين ، وكان فى الارض ٠٠ وكان بما أودعه الله فى روحه خليفة ٠٠٠ أما محمد فقد قال فى شأنه :

« **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** ٠٠ » فالنور محمد ، والكتاب المبين القرآن ثم قال عن هذا النور معبرا عن مركزيته الهادية المشرفة فى نفوس أهل الحق ، الهادية للكائنات فى بيداء الحياة ٠٠ وذلك فى سورة الاحزاب (٤٥) - ٤٦ (**يأيها النبى أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** ٠) وبذلك جعله سراجا منيرا كما سمى الشمس بذلك « **تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ، وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا** » (٦١) الفرقان « **وجعل القمر فيهن نورا ، وجعل الشمس سراجا** (١٦) سورة نوح ٠ »

فسمى الشمس سراجا وجعل محمدا سراجا ، وقال عن آدم انه من طين وانه على الارض

وكما ارتفعت مركزية المجموعة الشمسية من الارض الى الشمس بالعلم والمعرفة

ترتفع مركزية البشرية - بل الكائنات - من آدم الى محمد - من آدم خليفة الله فى أرضه الى محمد نور الله ، وسراجه ورحمته للعالمين أجمعين ٠ وصدق الله العظيم : « **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** » ٠

« **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** ٠٠ » « **وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** »

والى اللقاء الكريم ٠٠ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حسنى طه محمد شكيبان

معلمات رأس التين - اسكندرية

* * *